

مونولو جھست

بقلم
کی ایمان الفقی

design by shayibah urdina

مونولوجيست

شُرُوء

بقلم / كاريمان الفقي



جروب

شخايط وردية

إبداع الحرف وعشق الأبدية

للدخول للجروب على الفيس بوك

[/www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia](http://www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia)



شخايط وردية 2018

فريق العمل

غلاف

كاريمان الفقي

قالب داخلي

صابرين الديب

تنسيق

مروة جمال



جزيل العرفان والجميل لصاحبة الأنامل

الزمردية

مروة جمال



كلمة

النفس بحاجة لوقفه منا لنعرف دواخلها..

بحاجة لنحترم رغباتها..

لنسترخي مُغْمِضِ الأعين في سبيل الغوص داخل قيعانها.

أيها الإنسان..

أنتَ حقًا بحاجة لمونولوج دوري لمعرفة دواخل نفسك حتى

تستطع أن تتعامل معها.

فلا تتقاعس عن تذكُّرها فظروف الحياة مهما بلغت قسوتها

فلنفسك عليك حق.



إلى هؤلاء الذين ضلُّوا الطريق داخل أزقة الحياة بحثًا عن
أنفسهم الضائعة إليكم أهدي

مونولوجست



تنويه

قبل البدء علي تحذيرك، فهذا ليس مونولوج بالمعنى المتعارف عليه، فلكل إنسان مسرحه الخاص، لذا قد لا يكون هذا العمل على قدر المثالية التي يعتقها البعض، فاعذروني إن أصابه نقص ما فلا أحد كامل.



البداية

سُرفِع الستار الآن ولكن علي أن أخبركم سرًا قبل البدء..
فليس هناك أبطال سوى شخص واحد ديكتاتوري، لا يقبل
الاستهجان أو حتى الخروج من العرض قبل انتهائه..
يرفض إسدال الستار دون أن يستكمل حديثه لذا رحبوا معي
أيها الجمهور
بالمونولوجست.



مرحبًا أنا أدعى إنسان عمري الافتراضي بضعة أعوام، على غير هدى أسير أتخبط هائمًا، لم أعد أتذكر الحياة السابقة، والحياة القادمة مازالت طي النسيان داخل عقلي.
ذات يوم لم أشعر بنفسي وكأن حواسي أصابتها لوثة من فرط الهيام، استوليتُ على أقرب زورق تلهفت عيني لرؤيته ووجدت روعي لا إراديًا ترتجُ داخله قبل جسدي.
لم أعد أعلم هل شكل البحر الذي تغير، أم أن النفس البشرية هي التي تغيرت وباتت تسيطر عليها ماديات الحياة وتتقاضاها؟

تأملتُ منظر الماء المالح ممتع الشراب وكأنها المرة الأولى التي أتأمل فيها البحر، إلا أن شيء فيه تغير، نعم شيء ما. شيء ما يهمز ويلمز لأواجه نفسي وأتوغل داخلها لأعلم من هي بالنسبة لي؟

كيف تعيش بداخلي وأنا لا أشعر بما يدور داخل أفلاكها؟



كيف يتصارع العقل والقلب معاً داخلها وتظل هي الطرف الخفي في ذلك الصراع، وفي النهاية تظفر هي بالنصر؟ بل وكيف تتحكم في الضمائر عن بُعد لتطلق مفاعلاتها النووية فإما رضوخ للواقع وإما ثبات على مبادئها المنمّقة؟ لا أعلم لماذا لم أعد أشعر بنفسي، هل لأنني نسيتُ آخر مرة تفقدت فيها موانئها الخفية التي تشبه تلك الموانئ المشوشة بالأشعة والبشر، أم أن السعي وراء الحياة أنسى جسدي الجلوس برهة برفقة مينائي الخفي المشتاق لعودة الزوارق التائهة؟

جميعنا نمتلك موانئ خفية، لا تُرى ولكن نشعر بها، نسمع أصواتها داخل عقولنا وأرواحنا، نتحكم بنا لأنها ببساطة جزء لا يتجزأ منا، وكأن إخفائها عن الأعين راحة لنا ولها.



النفس..

يا لها من كلمة..

قليلة الأحرف..

كثيرة الموانئ التي تحمل بداخلها الميناء الآمن الذي نطمح

جميعًا للوصول إليه..

طويلة الزفرة..

عميقة الشهقة..

جفافها لا يعني سوى شيء واحد، الروح زُهَقَتْ و النهر سُلِبَ

الحياة.



وعلمت أن النفس بين جحيمين تتلظى
بداخلها النازي يحارب والأعزل يتهاوى



أصوات البواخر ..

زقزقة العصافير ..

ثورة أمواج البحر ..

وحركة الحمام الزاجل التي توحى بأننا في حقبة سبعينية،
كل هؤلاء شهود عيان على تلك الدقائق البسيطة التي ستغير
حياتي فيما بعد.

أتأمل السماء وأنظر لقرص الشمس مليًا، أرى انعكاس
صورتى داخل إطار ذلك الجسد الذي أحتمى بداخله من
لهيب الحر.

أفجر الهواجس داخل عقله عله يفيق، وأول تلك الهواجس ما
يؤرق مضجعي وعليه أن يؤرق فكر ذلك الكائن، فلقد ضقت
ذرعًا من هروبه، عليه مساعدتي في حسم الصراع الأزلي
الذي يدور ويسكن معي داخله.



صراع شرد الملايين..

ليس دمويًا..

ليس جسديًا..

شبح قاتل لكل لحظة هادئة يسرقها الإنسان ليعيشها.

يتغذى على الهيمنة..

محتال..

لعبته محنكة، ونسيج شباهه أكثر سمكًا من نسيج شبكة

العنكبوت.

محادثات السلام مفاوضات وقتية، فالسلام بالنسبة له لم يعد

سوى أعزل حمل السلاح في لحظة عنترية فانهزم شر

هزيمة، وإن حدث واعترف به فلن يكون سوى للدخول في

لعبة الخديعة.

يحتضن أي فرصة مناسبة ليحدد موقفه.



جريء..

لا يخشى..

لا يهاب فقط ينظر للمدى الطويل، ولا يأبه للقصير فهو

ليس ضمن أولوياته.

مريض نفسي..

بحاجة لمهدئٍ شبيه بالذي تتناوله المهرة الثائرة، فكبح

جماحه ليس بالهين.

فاكهة صيفية..

لا ينزف السكر..

لا يمتاز باللمس الأملس..

يتخمّر ليغدو مُسكراً يذهب العقل إلى غير هدى، و يتلظى

ليضحّ ثمرة عتيقة المظهر، لاذعة الطعم.



في مجتمع ما أعيش ككائن حي، في يوم من الأيام كنتُ
مجرد بدائي أسكن الكهوف.

يتقاتل بداخلي أقزام وغيلان سلامهما سطوة فكرية وكأني
غابة كل منهما يرغب في بسط نفوذه عليها.

فالشيطان يأمر بالفعل حتى وإن كان خطأ فالفعل اعتياد
واجب الحدوث حتى لو ظل طي الكتمان.
بحاجة لمنفعة متبادلة..

رضا عدو..

وعداوة ضمير..

أحيانًا أكون لمجرد أنني أرغب في الفعل لمجرد الفعل فقط.
وحيثًا أخرى لا أفعلُ لأن رضا النفس لم يولد إلا ليجهض
حتى لو كان الإجهاض حرام شرعًا سيتحول لمباح فقط لأن
الطمع غريزة، والإشباع واجب ولو كان على حساب قطرات
الفيتامين التي تُدعى مبادئ.



الضرورات تبيح المحظورات، والمحظورات متعتها لا تقل أبدًا
عن متعة إشباع الشهوة الحيوانية، والنتيجة إرضاء شيطاني
الداخلي في لحظة.

أفعلُ لأنني كإنسان أمير نفسي بحاجة على الدوام للفعل حتى
أعيش.

فالسكون ليس سوى نفس قضت نحبها منذ زمن.

أنا أفعلُ لأنني ببساطة ألتزم بميثاق غليظ تعاهدتُ منذ أن
خُلقتُ على الالتزام ببنوده فكان لزامًا علي أن لا أخرقه وإن
حدثتُ أصبحت النفس خرقة بالية يُفعل بها ما لا يُطاق.
وإن لم تلتزم وأحببتُ الخروج من اللعبة باتت حينها في عداد
الأموات إن جاز التعبير.

أو ليس الخروج فعل؟

مهلاً، نقض العهود فرض إلزامي تستسيغه النفس الأمانة
بالسوء إذا ما شاهدت إبليس يدعوها لعشاء لطيف برفقة
مغريات جنة الخلد الخرافية.



واللصدق هي أخطر من إبليس ذاته ماكرة وحسودة ترغب في
الظفر بكل شيء دون اعتبار لمدى الضرر الذي ستحدثه
فيما بعد.

فليس كل فعل صواب وليس كل عدم فعل خطأ.
قاطع أصوات صراعه المتداخل حديث الساكنة بداخله:
حسنًا افعل الصواب والخطأ دون اعتبار لي، ومن أنا؟
أنا مجرد نفس أقبع بداخلك لا أراك ولا تراني أسايرك في
أفعالك إلى أن تشعر تلقائيًا بفداحة أخطاءك فتأتي مستغيثًا
ولا أتجاهلك، بل أمد لك يد العون طالما أنك وصلت لمرحلة
الندم.

عدم الفعل قد يكون رد فعل على الفعل ذاته وهنا تكمن
المفارقة الصغيرة بين النقيضين افعل ولا تفعل.
ولأنني بشر خطأ فعدم الفعل يعد ضربًا من مستحيل
عرضه السماوات والأرض.



أنا بشر نفسي تُلبي نداء التفكير عن طريق الأفعال، قد أُسَيَّرُ
وقد أُخَيَّرُ وفي الحالتين عدم الفعل سيعد سلبية حتى لو كان
العدم امتناع عن الخطأ، فالخطأ واجب، والعقاب والثواب
تصحيح لذلك الواجب حتى وإن رأى المجتمع أن الجلد هو
الحل الأمثل لكل خطأ، سأظل إنسان عرضة للوقوع في
برائته مهما تجنبتُ عدم الفعل، فالنفس كما هي قوية ضعيفة
أيضًا.

**الفعل وعدم الفعل في قاموس البشرية وخاصة بشرية
المجتمعات ذات التفكير المنزوي داخل إطار مغلق لا بد وأن
يخضع لقوانين ومعايير تحددها تلك المجتمعات دون اعتبار
لمفاهيم العدل، الظلم، المشاعر، الضمير، المنطق، ومفاهيم
إنسانية أخرى اندثرت منذ زمن تواكبًا مع مصالحها
الخاصة.**

الظفر بغنائم الحرب تأخر كثيرًا، وأنا لم أعد أطيق الانتظار
فالانتظار حطم أنقاض الصبر التي شيدتها بداخلك، أخش



حقًا أن يتهدم المنزل فوق رأسي، فإما رحيل بسلام وإما إعادة
ترميم مجدبة لأنني بحاجة للتحرر من صراع لم تُحسم نتائجه
بعد.



الليل أقبل والبروج في الأعلى تُلُوح
ألا ليته يمضي فرائحة السرداب تفوح



شيء ما يُلوحُ في الأفق ينادي من بعيد فأتجه صوب صدى
الصوت.

أتجاهل..

فالتجاهل فن..

يكرر النداء فأستمر بالتجاهل إلا أن القبضة التي أشعر بها
في صدري فرضت التلبية قسراً. وما إن التفتُ لمواجهة
الصدى خفت ولم يتبق منه سوى حسيس صمته.

ركضتُ علّ اقترابي والهدنة التي أعددتها من أجل التقائنا
في نقطة واحدة تكشف لي عن ماهيته، ولكن ضرب المحال
محال الحدوث. سكون الصوت يزداد مع كل دقة قلب، ألهث
من فرط الركض وهو يلهث من فرط سعادته بركضي نحوه،
وكان ذلك الصدى لا شيء خيّل لي في لحظة أنه شيء.

أظلمت السماء وبات اللون الرمادي رداءً كست به الغيوم
عزيبها الفاضح، ولكن لم أنتظر اكتمال المشهد، فالظلمة

مرض يهز الكيان ويزلزل رحابة الصدر، وما أركض خلفه



حتمًا لن يكون أثمن من إبصاري للنور ، فما يحدث نواقيس
خطر أجراسها تجثم فوق جسدي الممدد أعلى سريري
والمضجر بمياه العرق.

استيقظ جسدي فزعًا من النوم وقطرات العرق فوق الجبين
تستغيث ولم تسكن روعتها إلا بعد أن رُوي ظمأها بالماء
البارد، ورحل الكائن الحي الذي أسكن بداخله عن الغرفة
تاركًا خلفه معركة سريرية لم تفقه شيئًا عن أبجديات الحياة
سوى أن هناك كائنات تتعارك مع الأحلام باستمرار وكأن
عالمها الواعي حرمها متعة الصراع والجدل، مسكين هذا
الكائن لم يعلم أن صراعه الوهمي سينقلب على عَقْبِيهِ
وسينعكس على واقعه فيما بعد.

الساعة العاشرة صباحًا..

أصوات البائعة الجائلين خارج نافذتي تُلَوِّثُ النجوى التي
تعبت بسمعي.



العاشرة والنصف..

أسير بغير هدى فالهدى باعني وقبض الثمن البخس،
الطريق بات معبداً بالهلاك، والزحام خانق كرائحة التبغ التي
تجلب السعال، والناس مازالوا كالأمس وسيزالون على نفس
المنوال في الغد، وأقسم أنهم يثرثرون حول نفس القصة التي
اعتادوا الثرثرة عنها كل صباح كأنها العلكة تلوك في الأفواه،
وربما أضافوا إليها بعض النكهات واللون لتكتسب حلاوة و
حمضية لا تقاوم، ومع كل خطوة أخطوها أتعثر متخبطاً
داخل دوامة أفكاره فالمعادلة مجاهلها كثر وما هو معلوم
بالنسبة لي قد لا يمثل تعويضاً يفي بالغرض.

بعد ساعتين، أجلس على مكثي بانحناءة عجوز بلغ منه
الشيب منتهاه أما أنا فلست بعجوز ولكنها الحياة تجعل من
الجنة الخضراء صحراء قاحلة.

استيقظتُ من نومي بصحبة كائني باكراً اليوم، أتأفف ربما
للمرة المائتين بعد المائة، فهذا الرجل نمطي ممل، بل والأسوأ



يقتل نفسه بالبطيء متجاهلاً كافة الإشارات المصوبة نحوه
من خلال الروتين المعتاد.

لا أتعجب من كونه لا يمتلك زوجة ولا أولاد حتى أنه لم
يرتبط بأي فتاة حتى الآن فمن تلك التي تطيق العيش مع
زوج استجمامه في الحياة الخروج لاستكمال واجبه الوظيفي؟
مهلاً ما هذا؟

هل هذه دوائر التي يخطّها بيمينه؟

هو متوتر، وأنا أعلم ذلك فالمرة الأخيرة التي تحدثت معي
فيها كانت منذ ما يقارب شهرين، لن أنسى ذلك اليوم عندما
بكى أمامي وطلب الغفران.

لن أنسى دموعه التي تفجرت بها المقل، حتى الحوار العقيم
ما زلت أتذكره، لقد ظن المسكين أنه سيموت جرّاء حمى
بسيطة.

لماذا تفعل بي ذلك أيها الكائن؟



أنت تلجأ لي عندما تخطأ، عندما تشعر بدنو أجلك تأتي

وتطلب عفوي وتحاسبني أيضاً، كم أنت قاسي؟

انظر ماذا تفعل بي؟

أتجد وأتحمل لأن حقك فرص لا متناهية إلى حين ممانتك،

لكن حين يُنفخ في بوق النهاية سأغرق وستظل أنت معلق

بحبال هوائية لامرئية.

الساعة الحادية عشرة والنصف..

أنكَبُّ على الأوراق المنفرجة أمامي أملاً في تهدئة سعير

النيران التي فتحت أبوابها على مصراعيها داخل عقلي، ولكن

أنا كائن بسيط لم أرق بعد لأحوز شرف براءة الاختراع

لأثير هوائي أتمكن من خلاله التحكم في أفكاري الغير

متناهية وكفاحها العايب للوصول لما تريد.

أطرق بقلمني شديد السواد كليلتي السابقة سطح المكتب

فيتدفق حبر الأضداد متأملاً أفكار عقلي أملاً في شفاء



يئسُ منه فالتناقضات باتت مهلكة، والخضوع لسلطانها بات
ذلاً تأبى عزة النفس التكيف معها.



اليوم أربع وعشرون ساعة، وفي كل ساعة ستون دقيقة، وفي كل دقيقة واحدة ذرات ثوانٍ تهدد بالانسحاب، فتأرجح الأفكار يمناً ويسرة لن تكون نهايته حميدة، بل إن السقوط سيهوي بها داخل هوة عميقة، الغرق داخل دوامتها عناق خانق.
ألمم شتات النفس فطريق العودة للمنزل ليلاً طويلاً
ويستغرق وقتاً ليس بالقليل، فالمخاطر حُفَّت من أجل اختبار البشرية، والرذائل استيقظت لتتأمل طبيعة المكاره التي حُفَّت من أجلها المخاطر.

قطاع الطرق يتربصون للمستسلمين لنوم الغفلة يحثونهم على الاستسلام ولكنني متمرد وثائر، فطرة وُلِدْتُ بها أم صفة مكتسبة لا أعلم؟

لا يهم الأهم أنني أكره الانصياع لأن الانصياع دون رغبة صريحة، ضعف.

وأنا لست بضعيف، والدليل العري الذي فُضِحَ من قبل
فَسُتِرَ ..



زللتُ...

فأدركتُ طريق التوبة وحدي.

استعصمتُ ورفضتُ الغواية فمتعتها مهلكة..

خفق القلب فعلمتُ أن العقل توقف لحظات ليستریح ويعاود

نشاطه فيعاون القلب في حماقاته.

نسيتُ فضيلة الستر فُعميتُ عنها لأن أعمى البصيرة لا

يستحق نعمتها.

وصلتُ للمنزل أخيراً بعد يوم أشبه بمضاد حيوي لا مذاق له،

اشتقتُ لصومعتي والأهم أنني اشتقتُ لمحتوياتها من قرارات

مؤجلة لا يعلم بها سوى أنفاسي المنتظمة وسردابي الخفي.

اتجهتُ صوب المطبخ داكن اللون، فتحتُ أدراجة واحداً يليه

آخر، أبحث عن شيء ما لا أعلم ما هو لكن بالطبع سأعلمه

حين أجده.

وبعد أقل من نصف ساعة من البحث حصلتُ عليه.



حبات خردل مرصوصة بعناية داخل حافظة زجاجية، سوداء
قائمة، تسلط أنظارها نحوي بحدة صقر يرغب في
الانقضاض على فريسته نظرتُ إليها طويلاً قبل أن أبعثرها
أرضاً لتبدأ رحلتي معها في لملة شتاتها.
وما إن شرعتُ في لملمتها حتى هلت واستبشرت الحبات
خيراً.

ولكن...

ليس كل ما يُتَمَنَّى يُطال، تمردت بضع حبات وانزوت بعيداً،
بعيدا جدا حتى لا أستطيع إيجادها.
ظلتُ أبحث عنها كثيراً إلا أن صدى الحلم فاجأني مرة
أخرى.

لن تجدها..

ها أنا أخبرك..



لن تجدها لأن الجانب المظلم من المطبخ طغى على كل شيء، حبات الخردل المتمردة ليست أفضل منك بالمناسبة بل هي أنتَ يا إنسان.

عندما ترغب في الهروب مني تختار الركن المنزوي شديد الظلام و تختبئ فيه، أظل أبحث عنك حتى أفقد طاقتي وفي النهاية تعود لي.

حبات الخردل لن تعود ولن تبرح مكانها الذي انتقته للاختباء، لأنها ببساطة لم تعرف طريق النور بعد وعندما تستدل عليه ستأتي دون أن تتكبد عناء البحث. ستخرج شرورك المستوطنة بداخلي.. سيغدو النفاق أسلوب حياتك..

لكنك ستعود لي في النهاية، وأنا أثق في ذلك وإلا فلم أنا قِبْلَتُكَ التي تلجأ إليها في جميع حالاتك؟

أنا ببساطة كما تتجمع بداخلي الشرور والآثام يتوغل الأمل وبصيصه محاولين القضاء على صندوق باندورا الأسطوري



الذي فُتح على مصراعيه في لحظة فضولية مكبوتة تكره
الصبر ومُرّه.

الليل أقبل فأظلم الكون وغشا بغشائه الخطايا والآثام، تحت
ستاره ضمائر تحاسب..
نفوس تُتصَّبُ ملوَّكًا..
دموع تبكي ندمًا..
أخرى تبكي اشتياقًا..
أخرى ملعونة..

تتمنى لو تحوز على صك التوبة ولكن أنى لها التوبة وهي
لا تجاهد للعدول عن الخطأ.



أجلس على أريكتي متناسياً تلك البعثة التي تفرك جبين
عقلي بشدة فالتناسي سمة الهروب المؤقت من اللحظة ولكن
أبدًا لن يُثمرُ فالثمار إن لم تكن ناضجة جيدًا فلا أمل في
الاستمتاع بها.

تهيدة تليها أخرى تليها ثالثة فالتعب لم يبحث إلا عني في
هذه الحياة، أنشد راحة فالسكون راحة.
ومن أين تأتي الراحة والليل أخفى ما عَظُمَ..
خفا العهر والرذائل..

أسدل ستاره على شياطين الإنس المترصدة لكل صغيرة
وكبيرة فاطمأنت لأن الظلام سيغطي العيون بعصابة سوداء
تتغاضى عن الكثير، وستهدم حصون ذلك الكائن البريء
الذي يضع أخلاق ومبادئ بيَعَتْ منذ فترة تماشيًا مع قانون
العرض والطلب، فالفضائل في سبات الليل راحة والمتعة كل
المتعة في رذيلة تعبت بالنفس البشرية لتشاركها العبت.



أنى الراحة والليل يأسر أنات ودموع تتصدع الجبال الشاهقة
إيمانًا بصدقها؟

أين الراحة وعقارب الساعة باتت أفاعي تثب السموم ليمر
الزمن وكأنه لحظة لا غير؟

الساعة تَعَدَّتْ منتصف الليل، نظرتُ لانعكاس صورتي داخل
المرآة وبحركة بطيئة أزلتُ بخار الماء.

هنالك شيء غير مكتمل ربما تكون هذه صورتي ولكنها
مختلفة الملامح وكأنها متربة، كأن قرون دهستها وأطالت
المرور عليها....

اصمتُ ما هذه الترهات أنا بخير لا يوجد أحد سواي أنا.
بلى...

أجفله الصوت فنظر للمرأة مرة أخرى
ردد الصوت مرة أخرى:

أنا روحك الضائعة، وزحام النفس الذي لا تستسيغه...



أنا أفكرك التي تهيم بها عشقًا وتخشى البوح بها...
أنا وخز ضميرك الذي يردعك، ونفسك الأمانة بالسوء..
أنا وجهك الآخر الذي تخشى إظهاره للعامة...

أنا صورتك المزركشة بالعطب فلا تقلق..

أنا انفلاتك وضعفك الذي يأبى الظهور.

نظرتُ مليًا لانعكاس صورتي فهي تسهب في الحوار

والحديث يتخذ مسار لا يعجبني أبدًا.

ماذا ألا تصدق؟

أنتَ لست بمثالي فلا تتقمص الدور فتفريق على صفة

ستمثّل نقطة سوداء في حياتك.

منذ زمن أنا وأنتَ حلفاء ولكن الفرق أنكَ ابتعدت وبقيت

بمنأى عني ونسيت أن الحلفاء عليهم أن يتحدوا، لأن الاتحاد

قوة ونسيت أن العدو لا يكره في حياته سوى ضعف الحلفاء.

انظر جيدًا وتمعن فأنا صفحة واحدة فقط من حياتك ترى

كيف هي باقي صفحاتك؟



ترى هل تُباح الخمر بعد تحريمها؟

أنا كذلك سأظل محرمة عليكِ إلى أن يأتي يوم تؤمن فيه
بأنك بحاجة لهدنة مع الحياة وأن قوتك معي أنا فقط حينها قد
أغفر وأعفو، فأنا لست بخمر يسكر ولست بإثم يخزي.
بل أنا أنتَ ولكن بصورة أخرى..

أنا تلك القوة التي تدعوك لشد الرحال إليها في أي وقت
لتنصركَ إن كنت محققًا وتوقظ ضميرك إن كنت مخطئًا وإن
حدث العكس فاعلم أن روعي تلوثت والتلوث جالب للأمراض
فابتعد عني وحصن نفسك قبل أن أنقل لك عدواي.



صورتنا المنعكسة داخل المرآة هي الحقيقة الوحيدة في
حياتنا، فيكفي أنها لم تُحقن بالكذب حتى الآن.



أنظر للمرأة وأدقق النظر بذلك الكسر الذي صدعها لثلاثة
أشلاء، لكل منهم منظوره الخاص الذي يراني من خلاله.
همت أطراف أصابعي بلمس الشظية الزجاجية الأولى
فزمجرت غاضبة، وأردفت:

لماذا تبدين بكل هذا الغباء؟

أم أنك لا تشعرين بمدى الصدع الذي أحدثته، هل تريدين
تشويه ذلك الجسد الجميل؟

أم أنك بدأت بالدخول في حالة النكران التي تسبق حالة
الخواء؟

هذه طبيعة أمثالك من المجردات.

هل توقعت مني أن أهديك قبلة الحياة وأرحب بك تصفيقًا.
لست أنا..

فأنا لا أومن بأن دوري هو استمالتك وإخبارك بمدى قبحك
أو جمالك.

نحن أشلاء..



نعم..

نلمع لنخبرك أن القهوة مرة..

نبرق لنتزفِ واقع..

لنخبرك أن نفسك الدنيئة قد تؤذي من حولك وقد تهلكين
بسبب حماقات بشرية هي محض عبث.

نظرتُ لها بحزن علّها ترحمني وتتوقف عن الحديث ولكنها لا
تأبه فمتى كانت المرايا تأبه لأحد؟:

أنتِ لست حق مكتسب وعلينا إعادته لأصحابه فهناك حقوق
من الأفضل أن لا ترد فردها قد يضر، وسيجلب همومًا
تزلزل كيان ظن صاحبه أنه غير قابل للتدمير.

أقسم لك، أو تعلمين أنتِ لا تستحقين القسم حتى، فأنتِ
أهدرت الواقع وجعلت الصالح يكذب أملاً في غد لن يصبح
سوى طالح بعد ذلك.

ولكن.....

هنا لم تستطع الشظية الثانية التحكم في لسانها:

اسمعيني ودعينا نتفق على أن لا نختلف مثلما تفعلين مع
البعض وتجادلين البعض الآخر، فاستدراكك للموقف برمته
بات واضحًا، أنت هنا لست سوى لإثبات الأشياء التي تدور
حولنا ولا ندركها بأعيننا.

نعم أنت عين الثالثة تدرك دون أن تُرى وإن رأيت تصفق لها
الأيادي احتفاءً.

أنتِ لست بشعة أو دنيئة على الدوام كما ذكرت الشظية
الأولى، ولكن أحيانًا لا نرى من الأشياء التي تحوم حولنا
سوى جانبها الظاهر.

أتعلمين لماذا؟

همستُ:

لماذا؟

لأنك جزء من كائن بشري، والبشر لا يشعرون بقيمة الغالي
إلا عندما يضيع وينسل من بين أيديهم هباءً، هل رأيتِ
صفاقة أكثر من ذلك؟ الإنسان غالي ورغم ذلك اعتاد



الحصول على الرخيص، وإلى الآن مازال مغمي العينين عن
إدراك قيمتك، ولكن حتمًا سيأتي
يوم يدرك فيه أنك لم تكوني سوى انعكاس لدواخله بأشكالها
المختلفة.

أما الشظية الثالثة التي آثرت الصمت فثناياها مثلجة الصدر،
لم تفعل سوى التمحيص والتدقيق فتلك المؤنثة التي تنتهي
بتاء مربوطة أشبه بجديلة عشوائية معقدة التركيب.
انحنت لتمعن النظر فالنظر دون تمحيص مضيعة للوقت في
ثرثرة النتيجة فيها محسومة.
قاطعتها الشظية الأولى متأففة من صمتها الذي طال:
حقًا..

هل ستستمرين بالتحديق فيها طويلًا أم ستحاولين إقناعها
ليدُكَّ الحديث أطراف عقلها وتقتنع لتعترف بما نريد.
هي محقة بالطبع تحالف اثنين ضد صاحبة الجديلة لا يكفي
لإقناعها فهي لا ترغب في رؤية انعكاس صورتها.



هنا تحدثت الثالثة وخرجت عن صمتها:

اسمعيني جيداً، هناك قاعدة في الحياة تقول النصف غير قابل للتجزئة كما هي المبادئ ولكن نحن لسنا سوى انعكاس قد نناصف وقد لانفعل ولكنك أنتِ الأصل الغير قابل للتجزئة.

الحياة ملعونة يا ابنتي أيقونة هي في الكذب. مغرية ومليئة بالخطايا والآثام، ولكن أنتِ وحدك القادرة على تنقيتها وتطهيرها.

أشارت بإصبعها ناحية صدرها:

أنا؟

نعم، أنتِ.

لأنكِ الحقيقة الكامنة داخل نفوس البشر..

من تبرزين نقاءهم..

تعكسين براءتهم والطهر القابع بداخلهم مهما كانت حجم

الذنوب، ومهما بلغ عمق الوحل الذي وصلت إليه نفوسهم.



بداخل كل منهم فضيلة حتى من ارتكبوا أبشع الخطايا
والرذائل حتمًا هناك داخل نفوسهم بذرة خير بحاجة لتُروى
حتى تنمو.

أنا وهؤلاء وأشارت بسبابتها ناحية باقي الشظايا:
قد نلتئم بفضلك..

لأنك ببساطة حقيقة وقائع لا تكذب ولا تغش، تظهر ولو بعد
حين، وعند ظهورها قد يغربل المجتمع نفسه مثلما تفعل
المصفاة تمامًا، وقد يظل عفنًا رائحته نتنة كما هي مراتع
الموتى تمامًا.

هل أدركتِ لم أنتِ فقط القادرة على التئامنا مرة أخرى؟
الحقيقة هي التي توقظني صباحًا لتذكرني بأهميتي وقيمتي
في الحياة باعتباري إنسان.

الوحيدة من بين المجردات التي تحدث الصدع والتي
تكشف الخبايا..



تعطيني درس أهميته تكمن في أن لا أثق ثقة عمياء دون
مؤازرة منها أو حتى إمضاء رفيع لإثبات وجودها في
الحياة.

الحقيقة ببساطة هي المرأة الصديقة في حياتنا فرجاء لا
تعمدوا كسرهما.

أسير حافي القدمين دون أن آبه لشظايا الزجاج المتناثرة
أسفل الكعبين، ولا للدماء التي تراكمت على أرضية الغرفة
اللامعة فاستباححت لنفسها النزف دون كلل أو ممل فالمرأة
كُسرَتْ وحدث ما حدث.

حتى أنا لم أشعر بها فأحساسي بالعُري لا يضاهي برودة تلك
الدماء وكأنه أصاب حواسي بالشلل.



نعم عُرِّي ولكن ليس عُرِّي جسدي بل روحي. الروح التي
تنزف يوماً بعد يوم لتجدد نفسها تلقائياً فتقف شامخة على
بؤرة الحياء لا لتوهم نفسها بأنها تستحق العري بل لتسمح
بانقشاع الدماء المسمومة والتخلص منها في محاولة منها
لبث الروح لدماء جديدة تستر بها الروح عريها الفاضح.
في جناح الدُّجى، وما بين قرمزية السماء وأنفاس النيام تتعري
روحي أملاً في إيجاد غطاء سميك يُلاءمُ سهاد الليل، وَيَسْتُرُ

بدن الروح.

تاقت الروح..

ضلّت الطريق بين دهاليز العبت و اللاشيء حتى أضحت
مجرد لفظ تهكمي تنطق به نفسي أملاً في غدٍ أفضل هو أبداً
لن يكون أفضل دون وجود مرآة الروح الملتئمة.

المرآة التي تحاسبني أولاً بأول، أقف أمامها

لأبئك مراراً..

أبوح وأندم..



تتدخل أناملني فتمسح الدموع لحظة انهيارها حتى لا تتراكم
كما تتراكم الأعباء على النفس.
من قال أن البكاء ضعف؟

البكاء تطهير..

تنفيس لا نهاية له يسمح لمشاعرنا بإطلاق العنان.
أفكرُ في كل لحظة خذلتُ فيها نفسي وأتساءل هل هناك

فرصة؟

تجيبني:

نعم...

هناك فرصة طالما تريد فقط نفساً عن غضبك ودموعك، ولا

تدعُ اليأس من الحياة يقتلك.

انظر لمرآتك.

وجهك أحمر..

أنفك قبيح من البكاء..



جسدك يرتج كالطفل الرضيع..

تأمل ملياً..

هل هذه الهيئة التي تود أن تكون عليها؟

أومأت بالنفي.

حسناً...

الآن و أؤكد على الآن وليس أي وقت آخر ستحطم تلك
المرأة وستبتاع أخرى جديدة لنبدأ أنا وأنتَ حكاية جديدة دون
بكاء.



قيل لي أن الرذيلة لن تأتي إلا من احتياج
قلت وهل للخطيئة دواء دون عذاب



أنتَ كفيلٌ بإصلاح العطب والخراب الذي نَمَتْ بذوره، إذا ما
واجهتَ واتحدتَ معي، وتصالحتَ بكل صدق و هادنتني
جيداً، لذا رجاءً لا تَرْكُنْ تخاذلك يوماً ما للتراجيديا المؤقتة
التي تعيشها فكلنا معرضين لها.

حذرتك مراراً من انسياقك، ولكن أنتَ تنتشي تجرّعك مرارته.
الآن، انظر وصلتَ لما لا يُحمد عقباه والفضل لغواية رأت
فيك الضعف فسقطت تحت أنيابها.

لكن أنتَ لستَ بضعيف...!

أنا لستُ بضعيف...!

نعم أنتَ لستَ بضعيف اصرخ بها وكررها حتى تعطي نفسك

إشارات تلقائية أنك لست كذلك. ترس..

نعم ترس أنتَ في عجلة الحياة..

تدور في دوائر مغلقة..

تعشق الخطر..

تتمنى لو أن إنسانيتك حرة..



لا تخضع لمعايير أو قيود..

حينما تسقط تصبح ضعيفاً وحينما تنهض مرة أخرى
متشبتاً بجدار الأمل تغدو أقوى مما كنت، أتعلم لماذا؟
همستُ متسائلاً:

لماذا؟

لأنك بالسقوط اكتسبتَ قوة تجعلك تتكون من جديد، قوة
تؤهلك لتدخل أولومبيات الحياة وتحصل على الميدالية
الذهبية لا البرونزية.

أنت تبني بالنهوض كائن آخر، عاقل قادر على الموازنة
بين بَيْنَيْنِ..

بين ضمير يحنك على إتباع الصواب وبين رغبات قد
تناقض ما يمليه هذا الضمير.

قمة الثبات هي الوصول لنقطة ذهبية، نقطة يتحد فيها
المنطق العقلاني مع المشاعر، حينها يمكن أن تتخذ قراراً
في حياتك دون أن تعتمد على إلقاء كواهلك على من حولك



ليس من السهل عليك اتخاذ قراراً مصيرياً يتعلق بمستقبلك
فيما بعد، خاصة عندما تتكالب جميع المؤثرات وتتحد لتقف
جنباً لجنب مع التكوين الفكري الذي تتكون منه باعتبارك
إنسان أعيش بداخلك أحتاج لك وتحتاج لي، تركيبتي يختلف
من إنسان لآخر، حينها أعقد جلسة طارئة داخل الجسد
أترأسها وأبدأ اجتماعي الطارئ الذي قد يستمر أيام وأيام إلى
حين الوصول لقرار حاسم.

من قال أن اتخاذ القرار بالنهوض سهل؟
ومتى كنتُ قادرة على التغلب على أخطاءك دون مساعدتك؟
أنت اعتدت لفظ الأعباء حتى لا تكد في الحياة، ولكن شقاء
الحياة في حقيقته نعيم.

جرب مرة أن تمارس نشاط بدني مرهق لجسدك ممتع
لروحك، وعد للمنزل حتى تأخذ حماماً دافئاً، أغمض عينيك
واسترخ في هدوء.

بماذا تشعر؟



شعور لا يوصف، الأنفاس المنتظمة، وتتهيدات التعب من
فرط المتعة.

حقًا الراحة دون جهد يذكر مشقة لي قبل أن تكون مشقة
عليك، فهي قتل من نوع آخر.
باختصار، ما لم تجدني لن أجداك أبدًا.



ويظل تحقيق السعادة مرتبط بنظرتنا لأنفسنا، أيًا كانت
طبيعة تلك النظرة فنحن جميعًا نمتلك الحق في أن نحيا
سعداء.



النفس البشرية دومًا ما تتساق وراء شهواتها دون أن تَع أن
الشهوات قد لا تخرج عن كونها نزوة لا أكثر.

تشعر بمتعته في لحظة ولكن حين تتقضي اللحظة ودع
شهوتك واستقبل بعض متاعبها بترحاب، فإذا كانت الشهوة
مجرد نزوة لحظية لم آثرت الوقوع أسيرًا داخل زنانتها؟
أجبتُ بثقة:

ربما لأنني بشر..

داخلي ذلك الكائن الصغير الذي يرفرف للحصول على ما
أُریده وبالطريقة التي آلفها لاهي تألفني..
أسافر عبر كل الخطوط حتى لو كانت رفيعة وأنساق خلف
كل الاتجاهات، حتى لو كانت وهمية.

أنا أريد..

أنا أشتهي..

إذا سأحصل على ما أشتهي مهما كان الثمن، فأنا لم أعد
أبالي.



فقط أفكر في إجابة سؤال واحد:

متى سأحصل على ما أشتهيه لأستمتع باللحظة؟

فقط أفكر متى سأشعر بالسعادة؟

حينها يأتي دور السؤال الذي تتوقف إجابته على مدى فطنة
بني البشر أمثالي:

هل السعادة زهرة مفقودة يبحث عنها البعض بالحكمة
العقلانية أم هي آلام لإنسان يعيش ليتألم ويشعر بقيمتها
مع كل جرح يرسمه ألم أم أن السعادة آمال وأمانى لإنسان
يطمح ليصل؟

أجابه صوته الداخلي:

أنتَ كائن يبحث عن السعادة باختلاف صورها، تشتهي من
أجل السعادة وقد تصل وقد لا تصل.

فمن ذا الذي يرغب في تعاسة تبكي على أطلال القهر؟



أصدقني القول لا أحد، ولكن على الرغم من أن السعادة رغبة إنسانية لا جدال فيها إلا أنك تحققها وفقاً لمفهومك الخاص ونظرتك للحياة وللناس والأهم نظرتك لي قبل هؤلاء جميعاً. فهناك أنفس تبيع وتشتري السعادة وهذا خبر حصري. السعادة باتت تباع في السوق السوداء وأنت مازلت كالسائرين نياماً.

المجتمع الرأسمالي لم يترك أحد على حاله حتى السعادة سيطر عليها واحتكرها ظلماً وعدواناً وبدأ بخصخصتها بالتدريج كما أنه يسعى لتطبيعها أيضاً ولا ضير في ذلك طالما سيصل للمراد، وطالما أن هناك منفعة فما المانع؟ هذا أيضاً خبر يضرب العقول على صفيح ساخن. أتعلم الإنسان كائن بسيط لكنه يعقد الأمور، هناك سعادة بسيطة، هي أقرب لمفهوم الراحة النفسية، تلك السعادة التي تأتي على هيئة بكاء متخلل لحظة فرح.. دموع تخونها ابتسامة مرسومة على شفيتين..



سعادة لا تطمع ولا تطلب من الحياة سوى الرضا لا
السلبية..

القناعة لا الضعف..

سعادة تؤمن بأن كل شيء في الحياة يسير للخير ومن
الخير، فهي أقدار كُتِبَتْ قبل حتى أن نكون نطف.
تُرى هل قَتْلُ قابيل لهابيل حقق له السعادة المنشودة وحقق له
مطمعه، أم أن السعادة كانت متمثلة في متعة الغراب وهو
يرى قابيل يحاكيه في مواراة سوءة أخيه؟
وما بينهما فوارق شتان أن يلتقيا، فالبرزخين لن يلتقيا أبدًا.
ما بينهما سعادة خفية لم يتم تسميتها بعد، سعادة لن تتحقق
إلا بالبدهء في تسطير صفحة جديدة من الحياة، عنوانها
محاولة نسيان.

نعم، محاولة نسيان الألم وجروح الماضي مهما صغرت
ومهما كبرت وتعاضمت.



أعلم أن النسيان عسير، والجروح ليست نفسية فقط لأن
الجروح النفسية تؤلم جسديًا وبشدة.

فها أملهنتي فرصة، فرصة واحدة فقط، لن أخبرك أن تتسى
ولكن سامح لِشُعْدِنِي، لِأتمتع بالدلال وأبدأ أنا وأنتَ من
جديد.

حتى لو احتكرت الرأسمالية سعادتك ولفظتك كالحشرة،
روضها لتكون مجرد خاتم في إصبعك، ورهن إشارة منك،
فأنتَ من سمح لها بالتوغل في حياتك، أيصعب عليك الآن
أن تتحكم بجزء منها لتحقيق سعادتك؟

أنا معتادة على الألم حتى لو كنتَ سوية، فالألم خُلِقَ لِيشْعِرُكَ
بمدى احتياجك للسعادة، فأنا ذات لون شفاف، الألم سعادة
والعكس صحيح.

السعادة لا تأتي إلا عندما تؤمن بأنها هنا في مكان ما وأنتَ
تستحقها، بل تستحق أقصى درجاتها.

فأنا أُحَلِّقُ فَرِحًا حينما يسعدُ الكائن الذي أسكنه.



حينها فقط أشعر برغد العيش فسعادتي من سعادته ألم أقل
لك جزءاً لا يتجزأ.

فالعقل مستمر في إعطاء الروح حفنة من الأوامر الصارمة،
حتى يغدو لها نصيب من السعادة لا ينضب ولا ينسل إلا
عندما تتسل الروح لبارئها.



وعلمت أن للهوى على النفس سلطان
آثم هو إن غفل عن منطق بالعقل جلاذ



نحن جميعا نحتاج إلى الحب، إنه جزء من الطبيعة
الإنسانية كالطعام والشراب والنوم، ولقد يرقب أحدنا ذات
يوم غروب الشمس الرائع وهو وحيد تماما، فيقول لنفسه لا
طعم لهذا الجمال لأنه لا أحد يشاركني فيه"
باولو كويلو

الساعة الثانية عشرة منتصف الليل.

يجلس فوق كرسي مكتبه المتواضع في غرفة نومه الصغيرة،
انتهاز فرصة السكون الذي يحمله الليل بين أحشائه، وشرع
في تسطير أول كلمة على صفحة بيضاء نقية خالية من
الأحبار.

مرحباً...

لا جواب...

انتظر طويلاً حتى نهره الانتظار فأكمل حديثه:

اشتقتُ إليك..



أعلم تقصيري بحقك ولكن الأمر مُلِحُّ، أريد أن أسألك عن

تعريف جامع مانع للحب؟

انتظر طويلاً ولكن...

لا جواب...

أغلق المفكرة وشرع في النهوض للنوم فعلى ما يبدو صديقتة

غير متصلة الآن ولكن فجأة فُتحت المفكرة على مصراعها،

وكانت المفاجأة أن الصفحة التي طواها في الحال حروفها

تتناثر من تلقاء نفسها وبدأت قوى خفية في الكتابة.

مرحباً...

أنا أيضاً اشتقتُ إليك، ولكن لن أستطع الإجابة على سؤالك.

فالحب ببساطة غير قابل للتعريف، هو ليس كيمياء تخضع

لنظرية علمية بحتة، ولا فلسفة نوّمن بمدينتها الفاضلة.

ربما هو اختطاف...

فعل لا إرادي كما يُقال...



ممم دعني أفكر بمثال أقرب، ربما الحب غير قابل للتعرف
لأنه هكذا كما هو دون مراوغة.

ولكن من منا لم يقع في الحب؟

من منا لا يقدر الحبيب أيًا كان مسماه الوظيفي في حياتنا
وينصبه ملكًا في دنياه ولا يحتمل فكرة فراقه أبدًا؟

أنت تقع في الحب، وعندما تتوقع داخل أصدافه، أتغير أنا
لِتَحُلَّ محلي أخرى جديدة بحلة مزدانة بمبادئ وثوابت

اهتزازية الاستقرار.

ببساطة انتقلت من كونك شخص روتيني لشخص آخر
أضاف لحياته جديدًا وقع في نَسْجِه مستعينًا في ذلك بالقلب
الذي أَحَاكَ مشاعر تلقائية بقماش من حرير غالي الصنع.

القلوب الغالية سهلة الكسر..

صعبة الالتئام تجاهد من أجل أن تعيش بصلابة في دنيا
المنطق.



حمراء اللون ربما بسبب صراعها مع المنطق الذي خلف
مذبحة خدعها فيها وهم صاحبه، أو ربما كان اللون الأحمر
وسيلة تضليل، انخدع فيها البعض كالذي يكذب على نفسه
ويستمر في الكذب وهو يعلم في قريرة نفسه أنه كاذب مع
سبق الإصرار والترصد.

في دنيا كل شيء فيها مَبَاع، باتت تخضع لقانون التجارة،
بيع الحب، فسلام على دراهم معدودة ركعت أمامها القلوب
بين جنبات سوق النخاسة، فقط لأن منطق الواقع انتصر،
منطق تشابه فيه الصالح والطالح لدرجة أن التشويش خلف
سحابة رمادية اللون، دُخَانِيَّة حد الخنق، حجبت عنك رؤية
التمييز.

ولكن هناك حقيقة ثابتة لا مطلقة الصواب صواب والخطأ
خطأ ونحن فُطِنُّ بما يكفي لنعرف ذلك.



باختصار شديد النفس تحب بالعقل والقلب معًا، حتى وإن لم
يتدخل العقل سوى بمقدار أنملة يظل هو مشبك الشعر الذي
يجمع الخصلات المتناثرة بفعل القلب.



مهما كانت نفسك أمانة بالسوء حتماً ستجد نجمة واحدة
على الأقل لامعة تتوهج بداخلك.



تتفُت دخان تبغها دون أن تَعِي بناطحات السحاب التي
تشكلت داخل عقلها، فالنيكوتين ترك بصماته بحرفية داخل
أفكارها القاتلة.

تتهدت بضيق فهي لم يعد لها طاقة لتهدرها في تلك التي
تحادثها وهي لا تجيبها.

ماذا؟

سألها بنزق.

هل ستستمرين باللغو طويلاً أخبرتك مراراً أنني لن أفعل سوى
ما أراه صحيحاً، وأنت لا تملكين الحق للتصدي لي.
ابتسمت الأخرى في برود وأجابت:

أنتِ محقة، ولكن هل ستشعرين بالراحة حينما تفعلين ما
تريدين دون أن أتدخل.

عليك أن تسألي نفسك هل ستندمين؟

لا.

هدرت بها ذات الناطحات.



نعم لن أندم، فأنا أعي تماماً ما أفعله.

ضربت الأخرى كفاً على كف متعجبة منها:

تقولين ذلك، وتأتين لي باكية، وتعتذرين وتستمرين في

الاعتذار، وأنا أهدهد، ولا ألومك لأنني أشفق عليك.

نظرت لها صاحبتنا العنيدة وأردفت وهي متأففة:

لا تخافِ..

هذه المرة لن أسقط بين أحضانك باكية حتى لا تشعرين

أنني مسئولة منك لا سمح الله، فأنا لا ينقصني نظرة التشفي

التي أراها في عينيك الآن.

نظرت لها في حزن:

أنا..

أنا لا أريد سوى سعادتك..

لا أريد سقوطك ووقوعك في فخ الرجوع بلا عودة..

لا أريد رؤية عذابك..



لا أريد سخرية الجار المجاور لنا، فهو دومًا ما ينصحك
لكن أنتِ ترفضين النصح، يستيقظ كل يوم صباحًا ليحذرك
وأنتِ تتغافلين إلى أن مرض.

نعم..

طاف سعيًا نحو إرضاءك وإرضاء ذاته لكنه تعب، فالجهد
في حالتك مشقة تتطلب عناد مماثل وهو بريء، لم يأخذ من
الحياة سوى المثالية ونسي أن المثالية ضربًا من المحال،
ولكن هل يُلام المرء إن سعى للكمال؟
تأففت المضجرة مرة أخرى وهي تسحب أنفاس بطيئة من
تبغها:

مثالي غير مثالي وما شأني أنا، المثالية أكذوبة، وأنا حددت
هدفي منذ زمن.

نظرت لها الأخرى مستفهمة.

تأففت ذات الناطحات فخرجت أنفاسها معبئة بعبق النيكوتين.
أنا اخترت طريقي منذ زمن.



وأكملت وهي تنتظر من النافذة:

نعم، هو هدفي الذي أسعى إليه ولن أتناقل وأنا أسير في
درب تحقيقه.

نظرت توأمها لما تنتظر إليه فشهقت مستنكرة وهي تضع يديها
على فمها:

لقد جننتِ حتمًا، إنه سبب كل شيء خطأ على وجه الأرض
أتركين جارنا المثالي من أجل هذا.

ابتسمت شقيقتها بمكر:

وماذا في ذلك، أوليس هو المانح للتفاحة الناضجة؟
وبالتأكيد سأساعده فأنا ماهرة كما تعلمين.

واستطردت حديثها وهي تفرغ محتويات السجارة:
أنا لا أريد سوى أن أكون أنا، أنا فقط دون معيار لا
صواب..

لا خطأ..

أود العيش هكذا دون وجود جارنا المثالي الذي نتحدثين عنه



قالتها بنبرة سخرية جعلت شقيقتها تشفق عليها.
أنا أود العيش معه هو فقط، لأنه لا يتحدث.
يخبرني طريقه وأنا أسير خلفه لا يحدثني بمنطقتك عن
الفضيلة وترهاتها، لا يحدثني إلا بما أجد فيه لذتي، لا
يتحدث بلغة المثالية لغة واحدة فقط يفهمها.
كررتها وهي ترفع إصبعها أمام عيني شقيقتها:

واحدة فقط..

لغة اللعب..

العبث..

المجون..

الخيانة..

الخطيئة..

حتى القتل لم يتركه على حاله، عظيم لغات متعددة جذورها

لغة واحدة

أوليس مختلفاً؟



ومن ثم نظرت لشقيقتها تفنّدها من أعلى لأسفل ومطت

شفتيها بامتعاظ:

أتعلمين لماذا لا يتحدث مثلك؟

لأنك نقية، نعم لم تلوثي مثلي مع شخص مثله.

واستكملت تنظر لها بصلاية:

أنا ممسوسة بقذارته..

ملوثة..

سقطتُ بين برائته، حتى ملائكة العذاب لم تعد تطيق

رائحتي لتخلصني من عذابي.

سارعت شقيقتها باحتضانها:

لا أبدًا، القذارة والتلوث يمكن إزالتهم طالما أنك تريدين وذلك

الجار الحقير يمكننا جميعا التغلب عليه بالصراخ في وجهه

وردعه.

همست بضعف:

لقد استحلني حتى غدت فتات نفس.



كلا..

هدرت بها شقيقتها أنتِ لست فتات..

أنتِ قوية، طالما تريدن ذلك، وماذا عن التفاح الذي

سيعطيه لكِ سأجلب أمثاله أضعاف لكن لا تستسلمي، ورددي

على الدوام.

أنا قوية...

أنا قوية...

وطالما أنا بجانبك سأساندك والجار المثالي سيسانئك طالما

تريدن ذلك فقط اعقدي النية.

ابتسمت لشقيقتها فقاطع حديثهما رنين الجرس:

ابتسمت لمرآها له.

هيا أود أن تلتقي بشقيقتي.

وما إن وطئت قدميه باب المنزل، شهقت شقيقتها مستنكرة:

ما هذا أهذا ما اتفقنا عليه سابقاً؟

ابتسمت شقيقتها بثعلبية:



لقد اتفقنا على أن لا نتفق يا عزيزتي.

وأردفت وهي تشير له:

طالما هو في الحياة إذا نحن لم ولن نتفق.

نعم اتفقت النفس البشرية منذ القدم على أن النفس الأمانة
بالسوء ليست حليفة سوى لكائن واحد فقط ذلك الكائن الذي
استباح جسدها مرارًا وتكرارًا وعقد النية على أن لا يتركها
حتى تغدو أمةً له.

يأمر فيطاع..

ينهى فتخضع..

لا يأبه إن تألمت يومًا، وهل تعرف الممسوسة الألم؟

هو فقط من يعطيها النشوة والألم لا أحد آخر.

حتى توأمها الوحيدة لم تسلم منها توأمها الضد في كل شيء،

وكان البويضة التي حملت جسديهم، انقسمت من رحمين

وليس رحم واحد.

فالشقيقتين فلقة واحدة غدت فلقتين بالخطأ ربما، ولكنه قدر



قدر أن تصبح إحداهما نفس سالحة..

تَحْتُ وتهدهد..

تتصح..

تحذر..

وأخرى لعينة أمارة بالسوء تتقاد وراء الجار المجهول، و
وللحق هو بارع في الغواية والإقناع، بتفاحة واحدة تأتي له
راكعة، وبتفاحة واحدة تتصور أن الجنة معه ومنه وإليه.
هو إبليس لم يترك أحد على حاله، فالكل غوي بفضله،
والكل سقط حتى نبي الله آدم عليه السلام، ولكن المفارقة
من منا قادر على المقاومة بعد الضعف ومن منا يستمر

في الضعف؟

اختبار الغواية قاسي..

مستمر..

متجدد..



يأبه الاستسلام، وهنا يأتي دور الجار المثالي، يحذر ويستيقظ مع كل اختبار، ليس وحيداً بالطبع تسانده الشقيقة التوأم لردع تلك الأمانة بالسوء.

والسؤال ماذا عن من ماتت أنفسهم الصادقة وضمايرهم؟
الضمائر لا تموت صدقاً لا تموت طالما أن هناك نفس أمانة بالسوء، ربما تغيب تُخدر، تخضع للمحاكمات الدولية من النفس لكن أبداً لا تموت.

كالفضيلة هي الضمائر لا ينتهي أجلها بسهولة طالما أن هناك رذائل وأخطاء تتطلب وجود نقيض لها في هذه الحياة. النفس البشرية معرضة لاختبارات مجهدة، شاقة بالنسبة للبعض، و أقصى اختبار هو اختبار الغواية.

محرك..

ماهر..

يتخير أفضل الثغرات التي يدخل من خلالها للنفس البشرية، وأعمق تلك الثغرات، النفس الأمانة بالسوء، يحاور



ويناور، وما بين شد وجذب التوأمين يتدخل هو سافراً،

فالخدیعة مطلوبة لا جدال.

یوسوس بأن الجنة معه وأن الخروج عن طوعه یعنی خسارة
المتعة، فمتعة الغواية لا یضاهیها متعة ومتعة السقوط مغامرة
مجهولة العواقب، ولكن ما بعد السقوط عذاب مُهلك للنفس،
مُوجع للجار المثالي وظلم للشقيقة الحكيمة.

وما بين الرحلتين..

أسرار تُدفن..

خبایا تُفضح..

شخص لم یتوجب علينا إضافتهم لسیناریو حیاتنا ولكنها
مشورة إبليس علينا الخضوع لها.

وما بين الرحلتين فكر خاوي على عروشہ قابل للاستغلال.

وما بين الرحلتين..

سحب كثيفة تناطح من أجل الرمادي.

وما بين الرحلتين..



محظورات تباح... ..

مزارات تُدنس بالخطايا المقترفة في حق النفس.. ..

ما بين الرحلتين مخاض يتمخض... ..

سائله الدافئ مزيج من الفضائل والردائل التي تكيل كل

منهما اللكمات للأخرى... ..

ما بين الرحلتين.. ..

فناء مخصص للعدو.. ..

فالأنفس البشرية دومًا في حالة لهاث متكرر، متحيّرة بين

النفس الأمانة بالسوء، والنفس البريئة التي لا تشوبها شائبة.

أما عني أنا البشري، أعيش وأتعايش رغم ذلك الصراع،

أعيش والتبغ يفتك بعقلي.

قديمًا وإلى الآن يُقال أن التبغ قاتل وإلى هذا الحد توقفت

العبارة.

" التبغ قاتل "

أين الجزء المفقود؟



لماذا توقفتم عند هذا الحد؟

التبغ قاتل...

للفكر؟...

أم للجسد؟...

أو ربما للوقت؟...

لكنه يظل خالق..

يخلق إرث لا طائل له من الوهم، الوهم الذي يظن نفسه
بارع في الدهاء والذكاء لكي يقتل كل ما سبق بدم بارد.
حين تصارع أثناء رحلتك مع نفسك تذكر جيدًا أن مخرج
الطوارئ الوحيد هو التخلص من الغواية التي سقطت على
أفكارك كنيزك حارق لا يريد سوى إثبات نفسه ليقول كما
يقول إبليس.

"أنا هنا، اقترب وشاهد"

وعند القرب تلسعك نيرانه لتحترق فلا يأبه بل ينتشي متبخرًا:

لا شأن لي أنتِ طلبتِ متعة...



وأنا أعطيت..
أنتِ أردتِ نشوة وأنا لبيتُ..
كونكِ نادمة لا شأن لي.
أخطأتِ لا شأن لي أيضا.
كنتِ تعلمين...
فاقتربتِ كالفراشة...
حذرتكِ نفسكِ النقية ولكن الانسياق من شيمك.
وأمال مقترباً منها بطريقة مسرحية:
لا أبالي بأخطائكِ، أنا بريء، والقانون لا يحمي الأنفس
المغفلة أمثالكِ.
أوه تصحيحاً للكلمة الأنفس الماكرة.
هذا أنا منذ بدء الخليقة، معدوم ضمير أم معدوم أخلاق لا
فرق فأنا معتاد.



نظرت له تستجديه أن يخبرها ولو كلمة واحدة تجبر بخاطرها
المكسور، ولكنه ليس بقديس ليفعل ذلك وليس بشر ليجبر
الخواطر بزيف ويتقمص دورًا ليس دوره.

لا تنتظري مني شيئًا.

قاطع نظرتها بتلك العبارة، ثم أردف ساخرًا:

لقد طردَ الإنسان من الجنة سابقًا والكل يعلم ذلك حتى أنتِ
كنتِ هناك ورأيتِ ذلك بأم عينيكِ.

لكن الجزء الخفي عن الأعين أنكِ كنتِ جزء من ذلك يا
مندسة..

ما هو مجهول بالنسبة لهم هو أنني أقسمتُ أن أجعل
الأرض جنة مزيفة لأمثالك، يا أمارة السوء، فأنا أشتهي رؤية
تخليكِ عن شقيقتك للسقوط بين أحضاني

ابتسم بسخرية ونظر لها بتقرز:

نصحتكِ بالابتعاد فأثرتِ الاقتراب إذا فلتحترقي بنيران القرب
مني.



قهقه بصوت مرتفع جعل دموعها تسقط لا إرادياً لتتذكر
حينها توأمها الروحية التي تعد انعكاسها في كل شيء عدا
شيء واحد.

وما إن رأت التوأم شقيقتها حتى سارعت بتهدة روعها
محتضنة إياها.

اهدأي كل شيء سيكون على ما يرام.
أومات الأخرى وهي تهز رأسها نفيًا.
بلى..

سيكون بخير ها أنا هنا يا مشقتي في الحياة. أنت مهلكتي
لكناك أنا وستظلين أنا، وأحكمت العناق حتى تشعر الأخرى
أنها ستحتوي ضعفها مهما حدث.

لن أتركك وأنت تعلمين ذلك، حتى لو سقطت، طالما ندمت
وبكيت لتُنقّي روحك فلا بأس أنا معك وسأظل معك هنا فلا
تخافي.

ابتسمت الحكيمة وهي تبعتها عن أحضانها:



ماذا؟

ألا يوجد في الحياة سوى ذو اللعنة المرجوم؟

من يظن نفسه؟

ربما ضعفتِ أمامه وسلمت مقاليد أمورك وزمامها له ولكن أنا

لن أترك طالما نتنفس ونزفر نفس الهواء.

وانتهى الحديث عند هذه النقطة.

وبعد أقل من يومين عادت الأمانة بالسوء لعادتها القديمة

ممسكة بيد إبليس، وهل تفعل شيئاً غريباً؟

عادتها منذ خلق الله الإنسان لا جديد..

من منا لا يخطئ؟

من منا لا يملك نفس أمانة بالسوء ونفس أخرى تهدد

وتطمئن؟

من منا لا تأنُّ روحه بسبب سقوطه ضعيفاً تحت رحمة

إبليس؟



أنا الإنسان اعتدتُ الخطأ عن طريق النفس الأمانة بالسوء
التي ينفث فيها إبليس بسمومه باستخدام فحيح الأفعى،
نصدقه وننسى أن هناك جانب خفي في الغواية.

لماذا؟

أجاب صدى صوته:

لأنه يمتلك تفاحة ناضجة، لكن نضوجها لن يسبب لك سوى
الخراب بعد ذلك.

أنت تحتاج ..

إذا إبليس مستعد دومًا لإشباع الاحتياج.

هنا أنسلُّ بالتدريج وأغدو أخرى مجهولة لصاحبها خاصة
عندما ينظر لمرآة روحه فيرى شخص غير ذلك الشخص
الذي اعتاد أن يكون عليه.

يرى الحسن رديء والرديء حسن فالمغزو أحسن الاختيار،
شخص ضعيف يلفظ نفسه الطيبة سأنجح حتمًا في إسقاطه،
هو لا يعلم حقًا أن هناك حفنة من البشر يسقطون ويغرقون



أسفل القاع ولكنهم تعلموا السباحة جيدًا لذلك يعودون للصواب بعد أن عضوا أناملهم ونواجذهم ندمًا، فتحدد النفس النقية ميعاد لتعود النفس المخطئة لصوابها مرة أخرى، وتتجرع كؤوس التوبة على جرعات حتى تتعلم أن كما هي الخطيئة سهلة التكفير عنها مشقة لا تضاهيها لتمتتع عن العودة لها مرة أخرى لها.

وهناك حفنة أخرى غرقوا وانتهى بهم المطاف موتى، موتى روح ونفس نقية، لا موتى جسد، فباتت تشذيب نفوسهم يتطلب دهرًا بأكمله.

حتى الدهر لا يكفي، فالنفس التي تلفظ التوبة لأنها اعتادت الاعوجاج، التوبة تلفظها أيضًا، والنفس النقية تسحق كل ما يمت لها بصلة، فهي باعت وقبضت الثمن واختارت الغرق في ماء الخطيئة المالحة، ولا يوجد جثة لاستلامها فالجثة زهدا الجسد كما زهدا الضمير وغاب يبحث عن غيرها بين أزقة الحياة و ضواحيها.



ما بين الوهم والمنطق شعرة ملساء، اقتلاعها من جذورها
ضرب من الجنون.



أن تستيقظ صباحًا وتعيش حياة روتينية..

نمطية..

اعتيادية الأسلوب..

إذا أنت آلة تغدو وتجيء ذهابًا وإيابًا دون أدنى فائدة بل أن

الآلة أفضل منك بكثير.

الصباح ذلك النور الذي يبعث بداخلك ضي الأمل بعد

اليأس، شعاع يبدد ظلمة الليل وسواده المهلك..

عدل يقضي على الظلم الذي توغل ليلاً بأياد لا تعرف

للرحمة معنى.



استيقظتُ فزعاً من نومي كعادتي على صراخ اعتيادي
بسبب حرب بباردة، ولكن هذه المرة الأطراف كُثر، أربعة
أطراف.

لا اثنين..

بل أربعة..

اللعنة..

لقد سئمت العد.

حسنًا..

أربعة لا أكثر ولا أقل.

أصوات حديثهم وصلت لمسامعي فتراشق الحجارة الذي
تتراشق به كافة الأطراف كسر الزجاج وهشم الشظايا لفوضى
متناثرة.

هذا يكفي.

هدرتُ بها بعد أن نفضتُ الفراش وفركتُ جبيني بعنف..
صرختُ بأعلى صوتي:



أنتم لستم حقيقة أنا أتوهم.
حقاً..

إن كنا كذلك فلم تصرخ بأعلى صوتك ولم تمنع الاستماع
إلينا؟

هدر غضباً:

لأنني غبي.

أنت لست غبي...

نحن في حياتك ولكننا شخصيات غير مرئية، فالحياة كما
يُقال لم ولن تترك كائنًا كان على حاله وأنت لست بأفضل
كائن.

ردد أحدهم بسعادة غير طبيعية وكأنه منتشي:

رقص، ولعب على أوتار الأرداف يُشعل حماسي للعزف

على أنغام الآخرين فهي تطربني بالنشوة والمتعة..

لها لذة غريبة..

الدفوف تدق، وأنا أرقص.



صرخ صوت آخر بعصبية مفرطة:

كفى هراء..

عن أي دفوف تتحدث هو لا يفهم هذه اللغة هو يفهم لغتي
أنا.

أحاطه بين ذراعيه هامسًا له:

اسمعي، هؤلاء لا يَمْتُونُ لعالمنا بصلة أنا أعلمك جيدًا وأعلم
بم تفكر؟

وأردف وهو يضع إصبعه داخل عقل صاحبنا:

هذا أكبر من أن ينساق وراء أصدقاء السوء.

هنا تدخل المكار قائلًا بتشفي:

لنذهب للاحتفال فاليوم حفلة تأبين لصديقنا الفيلسوف

وسننتهي منه ولن يقف كالعقم.

تَكُ تَكُ تَكُ..



عقارب الساعة تشير للواحدة بعد منتصف الليل، حفلة تأبين
راقصتها المتعرية الجنون وسيقود قداسها الوهم وسبيكي
المنطق مجففاً دمه بمحارم ورقية بالية حزناً على صديقه
الغائب العقل.

مات العقل..

انقلبت الطاولة رأساً على عقب، دهسه قطار الحياة، فالحياة
تبدلت كثيراً لدرجة أن الوهم بات مثاليًا لكل شيء والجنون
مجونه غدا هالة مقدسة يقدسها الجميع لدرجة أنه تقلد أعلى
المناصب.

فالجنون رأى الإبداع واحتضنه متشبهاً برقبتة، ورفض تركه
فشغف الإبداع أعماه عن كل شيء.

تدخل العقل محاولاً مقاطعة تلك اللحظة الحميمة فالأمر زاد
عن حده، ولكن الجنون نهره:

ماذا؟

هل تغار؟



أخبرني لا تخجل..

وأردف:

سأخبرك ما أشعر به الآن..

أنا أملك كل شيء، كل شيء حتى أنت.

دعني أخبرك سرًا صغيرًا:

أنا جذور شعرك الملونة فأنت لست بحاجة لتلوينه، وكوني

عينك ليس من فراغ، لذا هونّ على نفسك فالجنون حياة.

أما الوهم فاستعمر العقول وتوغل فيها ليقبض أفكارها

بسهولة، لماذا؟

لأنه ببساطة ملك موت، مُسْتَعْمِر، وقعت العقول تحت قبضة

استعمارهم، والمُسْتَعْمَر يقدِّم، والتقليد في حد ذاته محاكاة قد

تكون ذكية لتغريل وقد تكون عمياء تتساق ورائه دون رُويّة.

الحرب الباردة مازالت مشتعلة داخلي ولكن المفارقة أن

اشتعالها لم يعد دموي ولم يعد يحرق فهي باردة، سعيها بات

جليدًا منذ زمن، ودوي صافرات إنذارها صمت منذ قرون، بل



مذ أن عرفتُ أن هناك قوات متناقضة تحارب على كافة
الأطراف، بعضها سلمي يسعى لإيجاد مفاوضات سلام،
والبعض الآخر يخشى السلام وكأنه أسد سينقض على
فريسته في أي وقت، فالسلام كما هو الوهم كل منهما
خادع.

أحدهما يخدع العقل فيبدد منطقه، والآخر يخدع الشعوب
والأمم فتصحو من سباتها لتثور فتعرض الصحة
لانتفاضة مبعثرة، بمرور الوقت تتلاشى لتغدو خامدة
والسبب..

لأنها شعوب مسيرة..

بالجنون أم بالعقل؟

لا يهم ففي النهاية العقل سيصيبها بالجنون في يوم من
الأيام.



تتفستُ الصعداء فالحرب الضروس بين الأطراف الأربعة
سالفة الذكر هدأت إلى حد ما، ولكن استيقظ بداخلي صوت
ظننتُ أنه لم يسمع عن تلك الحرب قط.

ماذا؟ هل ظننت أن هذا الحل؟

هل الهرب من الحرب وتوَلِيَةِ الدبر لها هو الحل؟
صديقي البشري، لا تعتمد على ترك أي حرب دون حسم
نتائجها، فهناك أطراف حتمًا لم يُقرَّر مصيرها بعد..

هناك من ظفر بالنصر ويود الاحتفال..

من يرغب في الغنائم التي توزع بالتتابع على أطراف
الحرب جميعها دون استثناء حتى المنهزمة منها.
وآخرون كُثُر ينتظرون دورهم في الصف..

اسمعي جيدًا:

أنت معرض دومًا للصراعات المستمرة بين أربعة خيوط
سميكة متناقضة تحرك حياتك مهما بلغ مدى استقرارها.

الوهم..



المنطق..

العقل..

الجنون..

أربعة خيوط متشابكة تحرك السكون القابع بداخلك، فهو أشبه بدمية قماشية الصنع تُحرك على خشبة مسرح الحياة، فهو إن صح التعبير عروس ماريونيت.

قد تراهم أربعة فقط ولكنهم يَكُونون داخل مطاياهم أكثر من ذلك، فهم يحملون على عاتقهم مسؤوليتك باعتبارك كائن تُدعى إنسان.

تُفكر..

تتخدع لا ضير من ذلك..

تأكل وتشرب وتنام..

تلهو قليلا مع جنونك اللامتناهي فالنهاية لم تُكتب حتى الآن، فالخيوط اعتادت الانتظار حتى يلج سمكها داخل إبرة الحياة. جلس الوهم مع العقل ذات مرة وسأله دون مناورة أو خديعة:



هل أنا قاسي لأحملكَ ما لا يطاق؟

مممم، دعني أفكر.

نعم أنتَ قاسي وكثيرا، لأنك تجعلني أنخرط فيما لا يحمد
عقباه، قد أرى السراب غداً حقيقة بسببك، وقد أُخدع لكونك
ماكر في الخديعة وتصوير الخيال الإبداعي، لقد جنيتَ علي
كثيراً حتى ظننت أن روحي سترهق تلقاء نفسها.
لكنك قوي.

صدقني يا إنسان القوة مع ذلك الكائن لا تضاهي شيئاً، فهو
النشوة بعينها، والمتعة الزائفة التي ينخرط فيها أصدقائنا
متناسيين وهم السراب.

امرأة مغرية هو، فاجر لا يكتفي بالفجور بل يدعو الآخرين
إليه، رأسمالي محتكر، احتكر صديقي العقل وهم بالفتك به
لولا إنقاذي له في الوقت المناسب، حتى الجنون لم يسلم منه،
هل لك أن تتخيل ماذا فعل؟



لقد وأد الجنون ثم ما لبث أن نفض التراب عنه، ظن نفسه
إله واستخف بالعقل الإنساني، لكن منطقي نكح العقل في
صحوة وانتفاضة أجهزت عليه وفتكت به.

صديقي الإنسان مهما تباعدت عن منطقك الواعي، ومهما
كانت هناك حرب ضروس بينك وبين الخيوط السميقة،
ستعلم مع الوقت أنك إنسان تقف بين خطين أحدهما يحمل
بداية ونهاية والآخر له بداية وليس له نهاية.

الخط الأول بدايته عقل ونهايته منطق
وما بينهما وعي خُلق لنعلم غايتنا في الحياة.. خُلق لنقرر
مصائرنا

لنختار لا لنُفرض علينا الاختيارات..
ما بينهما أكبر من كونه مسافة فاصلة بين بداية ونهاية.
ما بينهما نفس بُثت بداخلها روح، نفس تعي الصواب
والخطأ..

تعني معنى الإنسانية الحقّة..



تعي ببساطة معنى أن تحيي وتعرف معنى الحياة..
نفس حين تضعف تلجأ للمنطق لتعود للقوة وحين تقوى
يتهاذى أمامها الوهم أملاً في سقوطها انتحاراً على رصيف
شوارعه المزدهمة بالمجانين..

السائرين نياماً..

العابثين لا متناهي العبث..

الكاذبين الذين يظنون أن الوهم منطوق.

الوهم لعبة..

طعم..

شباك صيد، ابتدعه البعض إما للهروب، أو للادعاء بأنه
أفضل الحلول للعيش.

هرعوا إليه هرباً ظناً منهم بأنه لا واعي سيقضي على ذرة
الواعي الباقية داخل عقولهم، أفنوا وقتاً طويلاً سعاة لإرضائه
وفي النهاية غدا الوهم لاوعي مبطن بالوعي، فخ وقع فيه
البعض فانهارت حصونهم الفكرية.



في قريرة نفسه هو مُوقِن بأن هناك حفنة ستخدع بعظمته لا
لأنهم ضعفاء بل لأنهم سئموا وكَلُّوا المنطق والحقيقة، ملُّوا
استخدام العقل الذي لم يعد وجبة شهية.
بحثوا عن رغد العيش فوجدوه في الوهم..
عن الأمل وجدوه في الوهم..
لن تستمر المسرحية طويلاً فالعقل يريد إغلاق الستار فعبث
الوهم تمادى في التمثيل والخديعة لدرجة أن المسرح على
وشك الانفجار إذا لم يغلق الستار الآن.



للنفس فصول أربعة تماثل فصول الواقع، تعاقب الليل
والنهار بداخلها لا يعني سوى أنها مازالت على قيد الحياة.



اليوم الثاني بعد العشرين من شهر مارس، أي بدء فصل
الربيع.

تتفتح الأزهار..

يخرج النحل من تكناته ليمتص الرحيق فينتج العسل..
تُزَقِرُ العصافير والطيور على كافة أشكالها مهللة بقدم

كرنفال الربيع..

حجر الزمرد يتلأأ مشيداً قصور من السعادة..

تهدأ أمواج نفسي بعد ثورتها الشتوية..

تلملم شتاتها الذي تفرق بعد حرب خريفية لم ينتصر فيها
أحد..

ترفرف أهدابها الملونة بعد سكونها ثلاثة أشهر عانت فيها
من عواصف فكر فتك بها فلم تكن قادرة حينها على اتخاذ
أي قرار.

أما الآن تبدل الوضع، أصبح بمقدرتها وضع الأمور في
نصابها الصحيح، أليس كذلك؟..



نعم، أصبح بإمكانني اتخاذ قراراتي المصيرية وحسم نتيجة الصراع المتناقض الذي وقعتُ ضحيته فهو لم يكن سوى تجربة عملية فاشلة حدثت شتاء وأراد القدر اختباري من خلالها، وكأنني في بث تجريبي.

جاء الربيع فأغلقَ البيات الشتوي إلى أجل غير مسمى، فأنا بحاجة لمساحة من الاقتناع والإيمان الكامل حتى أستطع أن أصل لملجأ آمن أحتمي بداخله متى أردتُ ذلك..

بحاجة لطقس معتدل لتشديد الأفكار الوسطية البعيدة عن التطرف، فالتطرف صقيع دائم، منطقة قطبية تقتل العقول بالتدريج وتغلق الأبواب أمام أي فكر جديد، لأنها ببساطة برودة تجتاح الأوصال فترتعد الأبدان وتغسل الأدمغة تلقائياً وكأن النفس لم يعد لها طاقة داخلية لتقاوم.

والسبب جلي..

لامع كحجر النيروز..

لا يحتاج لفك رموز أحجاره.



السبب ضعف الإيمان.

لماذا ضعفتِ يا نفس؟

أجابت برعونة ووهن:

لم يعد بداخلكَ ذلك الكائن الذي اعتاد المقاومة ببسالة لأن أفكاره التي يؤمن بها مزعزعة، غير مستقرة، حدث لثباتها خلل فاختر الاستسلام بديلاً عن البحث عن ترسيخها.
الإيمان هو ما يجعل لنفسكَ كياناً..

يجعلكَ تتأمل الانحراف المناقض لأفكاركَ فترفضه لأنك تؤمن أن الاعوجاج منطق ينافي ما تؤمن به.

الإيمان هو ما يجعلك ترفض الربا فيما يخص المبادئ..
ترفض بيعها بالمجان لأنك تؤمن، ومن يؤمن يتمسك بما يؤمن به حتى الممات.

رياح وعواصف فبراير، يسميه البعض أسود ربما لأنه لم يهب اللون الرمادي كما كنتَ تحلم أو ربما لأن القرارات التي تتخذها صباحاً تلغى من قاموس العقل مساءً.



أنتَ... ..

نعم... ..

أنتَ أيها الإنسان.. ..

ما بالكَ ضعفتَ جراءَ حمى موسمية، أقاصيصها الخرافية لا
تمثلُ شيءَ مقارنةً بالفيروس الخبيث الذي يصيبني عندما
أفقد اهتمامكَ بي أو حتى تتكر وجودي في حياتكَ.
هل تساءلتَ يوماً:

لم أصاب بنزلات البرد بكثرة في الشتاء؟
لم أهلوس بالوعي وأنا في عالم اللاوعي دون أن أشعر؟
أنتَ تمرض لأنني وصلتُ لحالة نفسية خطيرة تستدعي
الانتباه، أُريد اهتمامك، أومض لك بوميض المرض لأنك
أهملتني ففتكت بك فيروسات الشتاء.

ومع كل دقيقة أعاني من المرض أتخذ داخل جسدك ركن
صغير أنتظر إما عفو يطلق حرיתי



أو

لمعان نصل سأنحر به لأفارق الحياة.

الخريف..

رياح ثيب..

بلغ الشيب منها

منتهاه..

سقطت أوراقه فسقطت دفاعاتي بالتدريج وبدأت باستخدام
الحيل الدفاعية في كل المواقف الحياتية، وللإنصاف بعضها.

فصل السقوط المدوي..

والكسر الذي يليه هروب، هروب من كل شيء قد يذكرك
بأنك حي ترزق، وأنتَ جزء فقط ولست الكل فهناك أنا

بداخلك.

أصفر اللون..

خضرته باهتة..

فالنفس ثملة بفعل زعزعة الثوابت التي آمنت بها.



حاولتُ مراراً إيجاد نقطة فاصلة كتلك التي تفصل بين الخير والشر فكل منهما بيّن، ولكن الفصل في حالتك الخريفية قد يحتاج لرسام ماهر يستطيع رسم الخطوط المتوازية بوضوح حتى لا تتداخل الزوايا فتترنح النفس لتستعد للسقوط أرضاً فاقدة الوعي.

الوعي الذي ينبع من قناعاتي الكاملة بأن هناك نفس بشرية من حقها أن تستيقظ صباحاً لترى الخريف ربيعاً فلا تخشى التعرية بل وعلى العكس تماماً تتعري وتبوح لأن البوح يساعد على الحصول على الراحة.

أين أنتِ؟

أعلم أنكِ قابعة في مكان ما..

لا تخش شيئاً..

فالشقاء خرج من الجنة بسبب رياحه المفرطة.



أين أنتِ؟

الصيف غداً شديد الحرارة..

متطرف يحمل النفس مالا يكلف وسعها..

لهيب يحرق الفراشات..

يفزع الطيور التي تحلق أعلى السماء...

أين أنتِ يا نفس؟

والخريف لم يعد كما كان..

لم يعد بتول..

لقد فقد عذريته منذ زمن حينما فقدتِ عُذريتكِ واستجبتِ

لشياطينك، مذ أن استسلمت وغدت مجرد نفس واهية، تتخبط

في تيه لا منتهي الأمد لم يعد يؤثر فيها شيء سوى الفشل

الذي يثبط من عزائمها، فتنحول بالتدريج من شمس مشرقة

للليل قمره غائب متخفي وراء سِوَارِهِ خوفاً من أمل فقد بريقه

بسبب الظلمة.



أمل باتت بروج السماء تبحث عنه ومازال البحث جار ولم يتوقف.

لم يعد يتبقى لك سوى الربيع، هو الوحيد الذي يتحمل الألم والمعاناة، ومع سقوطك خريفاً يذكرك بأن السقوط ليس دائماً فدوام الحال من المحال.

الوحيد من بين الفصول الأربعة التي تتهاوي أمامه وتُبدي ضعفك دون حياء أو خوف.

لماذا؟

لأنه ربيع...

يتبدل بداخله كل شيء في أقل من الثانية.. حين يُسأل عن جماله، يعترف بأن الفضل يعود للخريف.

فلولا تساقط أوراقه..

ولولا جروحه المفتوحة..

ولولا ضيق صدره..

لما كان جميلاً بهذا الشكل.



أعلم أنكِ عاشقة للحرية..

الربيع هو الحرية التي تلت ثورة الشتاء..

قفز لبيتخطى الخريف..

واعتمر قبعة بداية الصيف.

طقسك الربيعي لا يأتي في العام سوى مرة واحدة، تخلعين كساء الشتاء، وتتنفسين ربيع الصيف المقبل دون حساب أو حتى قانون يمنعك من ممارسة حقك الطبيعي كنفس بشرية لها الحق في أن تعيش كما ترغب لا كما يفرض عليها. أعلم أنكِ بداخلي أيتها الفصول الأربعة، تتوالين كل عام، قد أفهم تقلباتك المزاجية، وقد أعجز عن الترحيب بكل فصل كما يجب، ولكن تظل نفسي مقومة بتاريخ معين.. تبدأ فيه رحلتها مع الحياة، وآخر تنتهي فيه الرحلة القديمة لتبدأ أخرى جديدة.



فمهما كانت البدايات قاسية موجعة أو حتى مخيفة، ومهما
كانت جلا د قاسي تجلد بلا رحمة.
تظل العبرة دومًا بالنهايات التي تحدد المصائر و ترزقنا
ترف الاطمئنان في كنف الحياة.



عن أي موت تتحدثون والجسد مازال ينعم بالنبض؟..
أنسيتم أن سكرات موت الإرادة أفسى من سكرات موت
المرض؟..



أتعلم ما أفسى أنواع الموت؟

موت الحياة وأنت ما زلت جزء منها..

أن تموت وأنت ما زلت على قيدها، تُقتل بدخلك الإرادة..
تفتك بخلاياك، ناهيك عن ذكر ذكرياتك التي تؤلمك وتسبب
لك ورم سرطاني خبيث لا شفاء منه.

تتجرع الماء قسراً لأنه ببساطة غدا ملحاً أجاباً بعيد كل
البعد عن ما هو سائغ الشراب.

أن تتحرك جسداً يسير ويضحك بألية تامة دون أن يكون
هناك ما تشعر به داخل صدرك. الصدر الذي يصدر خرير
كخرير المياه هو ليس في حقيقته سوى أنين لخروج روحك
الملوثة، يخفت بالتدرج حتى يصل لمرحلة لا تسمع همسه
فيها.

حينها تأكد تماما أن شهادة وفاة روحك القديمة كُتبت مع
إمضاء ميت.

لا أخشى هذا الموت ولا أهابه؟



حقاً؟

نعم..

ومتى كذبت عليك وأنا نفسك أيها الكائن المتناقض.
أنا لا أخشاه لأنه ببساطة عملية انتحارية، قادتها روح مزيفة
لا تعرف للحياة معنى، جُلّ تعريفها للحياة محصور في ألفاظ
الإنسانية منها مجردة، أقل ما يُقال عنها أنها مكررة
وتقليدية، ترى الحياة من خلال سعادة مزيفة نُحتت في لحظة
بيدين مرتجفتين، ستحترق من فرط الهرولة وستغدو رماداً ولو
بعد حين.

لماذا أنتِ بائسة هل لأنني أتتفس؟

ابتسمتُ بسخرية:

ألم أقل لك كائن متعجل مُتخَم بالتناقضات. بالطبع لا..
ولم أعاني البؤس وأنا أرى الحياة من منظور مساوٍ لمنظورك
في المقدار ومضاد له في الاتجاه؟



أنا أضع الأمور في نصابها الصحيح، ولو شئت دون زينة
لا فائدة منها سوى تبرج مبالغ فيه من أجل جنة تظنها أنت
جنة خُلد سرمدية.

نسيتَ ولم تعِ أن جنة الأرض ونعيمها زائف لا محالة ،
وجحيمها هو اختبار لي ولكَ.

فأنا تلك التي ستنجح وسيكتب لها الاستمرار مؤازرة الإرادة
الحرّة في سعيها الدائم نحو تحقيق ما تريده.

وأنا التي أفضّل إذا لم يكتب لي القدر النجاح..
فأنا يا صديقي لستُ قوية على الدوام، قد أضعف فأسقط
كمدًا، ويخفت الضوء النّير الذي يضيء لي ولكَ الطريق،
فيموت كل شيء في لحظة.

وقد تصل الرسائل عبر البحار للإرادة، وقد لا تصل
فتتضب محلها ولا تأتي أبدًا لأنها وجدت فيني وفيكَ
الضعف، فيموت كل شيء في لحظة، لحظة واحدة فقط
كفيلة بتغيير موازين الحياة والكون.



لحظة..

لا..

مهلاً..

بل أقل من لحظة، ربما فيمتو ثانية كفيلة بالتحكم في موازين الحياة وتحويلها لكفتين متماثلتين يحتل الأماكن الشاغرة فيها القوي والضعيف.

الحياة لا تسير كما تراها أنت بل كما أراها أنا. نعم أنا كينونتك الداخلية المتمثلة في النفس بصورها المختلفة وانعكاساتها الضمنية التي تظهر في سلوكياتك المختلفة والتي تعد الإرادة والرغبة في العيش أحد تلك السلوكيات. أنا النفس التي تتصح وتأمّر..

تَخْضَعُ وَتُخْضَعُ..

تَتَّعِمُ وَتَحْرِمُ..

تَقْتُلُ وَتُقْتَلُ..

وفي النهاية تظل النفس أمانة ورباط يلتف حول عنق الروح



حتى يأتي صوت يصرخ بأعلى صوته:

أزف الرحيل أيتها الروح..

الليل بات سرمدياً والنهار طوي صفحة الضوء ليفسح مجالاً
لصفحة الظلمة، لتثار كما تشاء مُستردّة حقها، ولكنها تتماذى
لأنها أنانية ترغب في كل شيء، حتى أنها أحياناً تنتظر لما
لا يحق لها فتنتهز أقرب فرصة لامتلاكه.

الأجساد تطفو على سطح الماء، والأرواح داخل القاع في
أسفل سافلين، تمارس رياضتها المفضلة السباحة وتبذل
أقصى جهدها لتتلاءم مع النفس.

فالجسد بلا روح كنهج جف ماءه فانسحبت منه الحياة.

أتعلم؟

أنتَ أيها الكائن غبي..

لأنك ببساطة تفسح المجال لموت الإرادة بداخلك.

عندما تمنح روحك الحياة صك ملكية الإرادة، تستطيع أنتَ

فقط و بيديك هاتين تحريكها لا روحك.



الإرادة مُحفَزةً ..

منبه فعّال ..

تمد لك يد العون ..

لكن أنت الأساس ومنزل لا أساس له حتمًا سينهار بنائه
على الفور ما إن تمر أول عاصفة رعديّة بجانبه دون أن
تمسه حتى .

موت الإرادة ..

موت الحياة ..

موت الإنسانية ..

ألفاظ جميعها أوردة لشريان واحد وهو موتي أنا .

أنا نفسك ..

ونفسك أنت ..

حين يصمت صوتي الذي يأمرك وبينهاك يُحاسبك ..

يُعاقبك ويجادلك ..

يُوقظ ضميرك ..



صوتي الذي يداوي الجرح وكأنه بلسم..

صوتي الذي يضحك ويغامر معك..

يقنعك ويقنتع..

حين أخفُتُ أو أصمُتُ اعلم أنكَ فارقتَ الحياةَ وأنتَ ما زلتَ
تتنفس.

ما زلتَ على قيد الحياة رغم وجودكَ الجسدي وأنفاسك
المنتظمة، ولكن جسدك ليس أكثر من جثة هامة مسجاة
بداخلها خراب لا يفارق اليأس محياه.
منوم مغناطسيًا تسير بلاهودة.

سلمي لا رأي لك.

قتلتني وظننت أنك ستتجو ولكن صدمتك النفسية جعلت
منك كائن مفكر مع وقف التنفيذ.

همس الكائن:

لماذا؟

لأنك ببساطة، كائن، حي أو هكذا كنتَ بعد أن فقدتُ بريقي



تأكل..

تشرب..

تنام..

تفكر..

وعند تفكر ضع ما شئت من الخطوط الملونة حتى لا تنسى.

فغياب الفكر، يعني غياب النفس عن الوعي وانتقالها لمرحلة اللاوعي، ورغم ذلك اللاوعي لئيم يفكر أيضا ولكن بطريقته الخاصة.

أنا بريء من عالم اللاوعي لا أتدخل في شؤونه لأنك أنت الوحيد القادر على إيقاف سطوته عليك.

نام الضمير مع يقظة جانب العقل الذي لم أكن أتمنى يوماً أن يستيقظ أو أن يكشف عن نفسه، لكن ماذا أفعل سنة

الحياة؟

سباته طال وكأنه يقول:



الحياة لم تعد كما كانت وأنا لا أريد سوى حياتي القديمة.
لا أعلم..

هل هو سبات أم غيبوبة مرضية رفضت الحياة فقررتُ
المُضي باتجاه درب غرفة الإنعاش التي احتوتها؟
أم

مؤقت، فُرض عليه الأجل الغير مسمى باعتبار أن الروح
الطيبة زُهِقت بالتمائل مع ما آلت إليه أموري.

غضضتَ البصر عن الكثير والمثير لدرجة أن المثيرات
الملونة التي كانت تجذب أنظاركَ باتت رمادية استجابتك لها
لا شيء مقابل صفر وكأن الانقياد للحسابات الدقيقة شرط
من شروط الولاء.

الفراشات الصغيرة رمز البراءة لم تعد أجنحتها تحرك سكون
الأهداب..

كل شيء تغير حتى أنا..

ربما..



بسبب الرغبة في حياة أفضل والحصول على رغد العيش
المنشود.

أو..

بسبب ثوران الغبار الذي تشهده بعض النفوس.
سأخبرك مزحة ربما تخفف حدة تلك الكآبة:

ذات مرة همس في أذني اليأس، فصدقته وانسقت قدمي لا
إرادياً ورائه، نسيْتُ حينها أن بإمكانني أن أغير العالم لجعله
مكان أفضل.

هدر الجسد صائحاً:

واهمة....

نهفته النفس بانفعال:

لستُ أبالغ أو افترض أوهام وأنت تعلم ذلك. أنتم البشر إذا
شئتم فعلتم، ولكن مشكلتكم الوحيدة أنكم تركنون على
الآخرين..



نفوسكم لا تتقبل الإساءة بصدر رحب بل تفكر كيف
ستستجيب لها قبل أن تحدث حتى.. المشكلة ليست في أنك
تتردد في حياتك بل الأهم أن لا تجعلني أتأثر بترددك.
صحيح أنني قادرة على تصحيح الأخطاء ولكن هذا لا يعني
أن تكرر نفس الخطأ مرتين وتتمادى فالكل له طاقة حتى أنا.
أنا وبكل فخر الأسطورة الإغريقية التي لم يكتبها التاريخ بعد،
وسأكتبها بملء إرادتي لا خانعة..

أنا الحرية التي تتمناها الشعوب وتتدلع لأجل عينيها
الثورات، وتحن لها المرأة مكسورة الخاطر..
أنا المهد الذي بدأت منه الانتفاضات وميزان العدل..
أنا المرأة ذات الفؤاد الخامد فتأجج لمجرد وجودي داخل
حياتها...

أنا الواحد الصحيح الذي يزيّن الفراغ بجانب الصفر..
أنا نور العلم الذي يبدد الجهل..

أنا الجني بداخل مصباح سحري يحقق الأمنيات المباحة..



أنا عصا سحرية تجعل الأبيض أسود..

أنا الإرادة...

التي يمكنها أن تحقق جميع ما سبق..

فلو شئت اتحدثُ مع العقل وسعيت لاقتلاع الفساد من

جذوره.

بيدي فقط تتخلص من الفقر المر..

ورق الفكر الذي استعبد الشعوب أزمنة مديدة.. بإمكانني

خلق نسوة جديدة على أطلال هؤلاء اللواتي عبث فيهم الزمن

فجعلهم يظنون أنهم مجرد بقايا نساء.

أنا وحدي التي أمتلك مقاليد الحكم وإعطاء النفس الأوامر

بالهدم وتشبيد أخرى جديدة، سكانها لا يعرفون للضعف معنى

وإن حدث يؤمنون بوجود قوة ستننتشلهم من ذلك الضعف

طالما أن هناك رغبة في النهوض مرة أخرى.

القصص التي تُسرد..

العروض المسرحية الحية..



و الأفلام التي تبت داخل صالات السينما لن تفيد.
لأنك ببساطة صلبة أيتها الإرادة وصلابتك لم تكتسبها إلا
عندما تفشت عدوى القوة وانتشرت داخل خلايا ذلك الجسد.
أنتِ عنيدة..

تكرهين الأوامر..

تشعرين أن من يُسَيِّرُكَ لا يرغب سوى بإطعام أفكارك
بالترهات..

ترفضين التحرك فجأة لأنك فطنة..

أنا بإمكانني إما وأدك كما كان يفعل في الجاهلية في كل ما
هو مؤنت..

أو

أنفخ في صورتك فنتجسدين أمامي على هيئة جسد مُكْتَمَلٍ
دون المرور بتسعة أشهر وهنأ على وهن، إضافة لآلام
المخاض العسيرة التي سأعرض لها.
ألم يقولوا لكل داء دواء إلا الموت.



إلا أنتِ فأنتِ دوائكِ معي..

أحتفظ به على الدوام خوفاً من أزمة مرضية قد أتعرض لها
في أي وقت وتؤثر على ذلك الكائن.

دوائك هو التحفيز..

التحفيز بمنشطات لا تُباع إلا في صيدلية الحياة..

يدفع الفاشل لأن يكون ناجح..

يُبهر الصعاليك والحتالة بالثراء الفاحش ليكونوا ملوكاً..

يُلهم الكاتب بالأفكار فيتدفق نهر الكتابة مبدداً الجفاف

الفكري..

إذا يا إنسان ما رأيك في أن الحافز هو العلاج النفسي الأمثل

لفاقدي الأمل في الحياة، جرب أن تعطي مكتئب مقبل على

الانتحار حافز وادفعه له ببطء.

انظر ماذا سيحدث؟

التزمت الصمت فلا جواب خير منه.

لكن صوتي الداخلي أجفاني وأردف بثقة:



بالطبع ستتحرك إرادته تلقائيًا للاستجابة للحافز، ثم سرعان ما يلبث أن يُقدِّم على الانتحار وكأن لأحياء لمن تتادي.
رفض الحافز ذاته وعدم الاستمرارية في التشجيع عليه يخلق تضخم اقتصادي في نسبة الكبت داخل معنويات الإنسان فالحافز بحاجة لدوران دائم بين الليل والنهار لنشعر بمدى روعة العيش من أجل سبب ما.
الطاقة الداخلية لن تجد نفعًا طالما أن الإرادة ساكنة لأبد من تكاتف كافة الأطراف لخدمة الحافز.
الحافز، أسعده تجده.



النهاية

انتهى قلّمي من الغوص داخل أوراقى بسلام، ولكن أنت لم
ولن تنته من كونك مونولوجست في الحياة.
مسرح الحياة فسيح فوق خشبته يتحرك الأبطال بحرية، وأنت
بطل نفسك.

لذا تعايش معها بسلام وجرب ولو لمرة واحدة سير أغوارها
حتى تطمئن على علاقتك معها.

تم بحمد الله



